مشكلات المراهقة في الوسط المدرسي في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال

تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط في الجزائر- أنموذجا.

د. إبراهيم هياق: جامعة محمد خيضر- بسكرة: الجزائر.

الملخص: تتميز مرحلة المراهقة بمشاكل نفسية وتربوية تؤثر على التحصيل الدراسي للتلاميذ وتنعكس سلبا على سلوكياتهم في الوسط المدرسي، يسعى الباحث من هذا المقال إلى تحليل واقع الوسط التربوي في مرحلة المراهقة، وعلاقة ذلك بالأسرة والمجتمع خاصة في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، ويقترح نموذج لعلاقة تواصلية بين المدرسة والمجتمع لمعالجة المشكلات التربوية والنفسية لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: مشكلات المراهقة ؛ الوسط المدرسي ؛ تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

The Problems of adolescence in the school environment In the light of information and communication technology

Pupils in the middle school in Algeria - a model.

Abstract:

In adolescence there are psychological and educational problems which affect the academic success of pupils and reflect negatively on their behavior in the school environment, the objective of this article seeks to analyze the reality of the school environment in adolescence , And its relationship with family and society, in light of the development of information and communication technology, and propose a model of communication between school and community to address educational and psychological problems Students in Algeria.

Key words: Problems of adolescence - school environment - information and communication technology.

مقدمة:

إن المجال المدرسي مؤسسة اجتماعية يتم من خلالها جملة من التفاعلات بين مفردات البيئة المدرسية لتنمية وتكوين ذات الفرد، وفق مبادئ وقيم مجتمعه في مختلف جوانبها المعرفية والسلوكية والوجدانية، ليست بمعزل عن المؤثرات الخارجية فهي في تفاعل مستمر مع التغيرات المجتمعية،فالمدرسة لا تنحصر وظيفتها في العملية التعليمية فحسب بل هي مؤسسة تعليمية تربوية تستمد شرعيتها من المجتمع تؤدي وظائفها الاجتماعية، كجزء لا يتجزأ من المجتمع الذي تنتمي إليه، تُحقق المدرسة للمجتمع أهدافه التي سطرها فهي محور الوظيفة التعليمية والتربوية والمجتمعية، فهي دوما في علاقة تبادلية مع المجتمع ومتغيراته الثقافية والاجتماعية والسياسية.

تحظى مرحلة المراهقة باهتمام كبير من طرف المختصين في علم النفس والاجتماع وعلوم التربية، وكل المهتمين بالشأن التربوي من معلمين وآباء، نظرا لأهمية هذه المرحلة في حياة الفرد فهي مرحلة تمهد لولوج مرحلة النضج وتحمل المسؤولية، كونها مرحلة حساسة تتميز بالنمو على كافة الأصعدة جسميا وعقليا وحركيا وانفعاليا واجتماعيا، فهي حلقة هامة من حلقات الإعداد في تكوين الفرد، لذا يحرص علماء النفس والتربية على أن يتزود كل من له علاقة بالإشراف على تربية وتعليم الناشئة، بالجوانب المعرفية الضرورية لهذه المرحلة حتى يتسنى له الإشراف الفعال والتدخل الناجع في الوقت المناسب لحل كل معضلة تسجل خلال هذه المرحلة الهامة.

إن التطور المسجل في وسائل الإعلام والاتصال وبشكل متسارع خاصة مع بداية الألفية الثالثة، بما جلبه من قدرة على الاتصال والتواصل بشكل أكثر يسرا وسهولة، فالفضاء المفتوح والقنوات الفضائية وما يُبث من أفكار وثقافات تكون في كثير من الأحيان تستهدف الفئات الهشة في المجتمع خاصة طبقة الأطفال المراهقين، والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وما توفره لكل من يلج فضائها من قدرة على التواصل مع الآخرين والتفاعل معهم، وتكوين صداقات قد تكون افتراضية ولكن لها أثر بالغ في تكوين شخصية الأفراد خاصة المراهقين منهم، حيث تتميز شخصية المراهق بالهشاشة نظرا لكونها في طريق التشكل وأي انحراف في أسلوب التنشئة قد تنجر عنه عواقب وخيمة، ومشكلات نفسية واجتماعية وتربوية تزداد تعقيدا مع تطور وسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال والتي أصبح من الصعب مراقبتها وتوجيهها، فالمشكلات التي تظهر لدى الأطفال المراهقين في ظل تطور وسائل الإعلام والاتصال لن يكون ممكنا الحد من آثارها إلا بتضافر كل الجهود وخاصة الأسرية والمدرسية منها، فالعلاقة بين الأسرة والمدرسة شهدت في العقدين الأخيرين انكفاءا ملحوظا تاركين المجال لبدائل أخرى تقوم بدوريهما، والذي قد يكون لهذا الانكفاء بالغ الأكثر في المنظورين المتوسط والبعيد ما لم يتم البحث عن الحلقة المفقودة في هذه العلاقة وإعادتها تفعيلها.

هذا ما دفعنا إلى طرح التساؤل الآتي:

ما واقع مشكلات المراهقة في الوسط المدرسي في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال ؟

يسعى الباحث من خلال هذا المقال إلى تسليط الضوء على واقع العلاقة بين الأسرة والمدرسة وأثر ذلك على تنامي مشكلات المراهقة النفسية والتربوية، من خلال التناول الآتي:

1- مفهوم المراهقة.
2- أهم مشكلات المراهقة في الوسط التربوي.(التعليم المتوسط أنموذجا).
3- دور المدرسة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.

4- العلاقة بين الأسرة والمدرسة الجزائرية في ظل تطور وسائل الإعلام والاتصال وأثر ذلك على المراهق.

5- مقترح تصور لبناء علاقة تواصلية بين الأسرة والمدرسة في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

-مفهوم المراهقة

1-1 - تعريف المراهقة:

أ- التعريف اللغوي: لكلمة مراهقة في اللغة العربية تعريفات متعددة غير أنها تصب في الإطار العام لمعنى الفعل رهق، حسب ما ورد في جملة من المعاجم والتفاسير، فهذا ابن منظور يرى في الفعل رهق بمعنى الدنو والقرب أرهقنا الليل :دنا منا، أرهقنا الصلاة أخرناها عن وقتها[1]. وفي معنى آخر رهق يغشى" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"(يونس26).أي لا يغشاها ولا يدنوا منها. وفي معنى آخر المُرهق: المحمول عليه في الأمر ما لا يطيق.[2]

أما في اللغة اللاتينية فكلمة(Adolescence) مشتقة من الفعل (Adolescere) والذي يعني النمو نحو الرشد.[3]

ب- تعريف المراهقة اصطلاحا:

يعرفها عبد الرحمن عيسوي" يطلق اصطلاح المراهقة على المرحلة التي يحدث فيها الانتقال التدريجي، نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والنفسي".[4]

أما لوهال" Le hall" فيعرف المراهقة هي بحث عن الاستقلالية الاقتصادية والاندماج في المجتمع، الذي لا تتوسطه العائلة وبهذا تظهر المراهقة كمرحلة انتقالية حاسمة تسعى إلى تحقيق الاستقلالية النفسية والتحرر من التبعية للطفولة، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث تغيرات على المستوى الشخصي لا سيما في علاقته الجدلية بين الأنا والآخر.[5]

2-1 الاتجاهات المفسرة للمراهقة وأنواعها:

أ- الاتجاه البيولوجي النفسي: ويعتبر المراهقة إعلان لبداية الوظيفة التناسلية، يصاحب ذلك التغيرات السريعة والحيرة والقلق والضغوط.(لوهال، آنا فرويد)

ب- الاتجاه الثقافي الاجتماعي: ويركز على أثر النمطية الاجتماعية والثقافية السائدة (بدو ،حضر) في هذه المرحلة من عمر الإنسان.(بندكت، ميل، ماير).

ج- الاتجاه العقلي: يقوم على منطق العقل وتأثير على خبرات المراهق، وقدراته وفعاليته والتفكير الإجرائي والنمو الاجتماعي للمراهق لتكوين مفهوم للذات.(الكيند، لوفت، فلافيل).

1-3- أنواع المراهقة:

1- المراهقة المتكيفة.

2- المراهقة الإنسحابية المنطوية.

3- المراهقة العدوانية المتمردة.

4- المراهقة المنحرفة.

1-4- الحاجات النفسية للمراهق

* الحاجات الأولية:

- حاجات صحية وغذائية: التغذية الجيدة الكاملة والمتوازنة والنظيفة والموزعة في وجبات منتظمة أساسية لصحة المراهق، كما أن الاهتمام بصحته من خلال المتابعة الصحية لنموه الجسمي وتزويده بكل اللقاحات الضرورية لوقايته من الأمراض، كما أن نمو أجهزته التناسلية في هذه المرحلة يكون بالغ الحساسية على مستقبله ،فيجب التأكد أن كلا الجنسين الأنثى والذكر لا يعاني من أي مثبط أو معيق للنمو في هذا الجانب، وفي حالة الشك يجب أن يتعرض المراهق لفحص طبي شامل من أجل التدخل الصحيح في الوقت المناسب.

- حاجات اجتماعية: يكون المراهق في هذه المرحلة في أشد الحاجة للشعور بالانتماء ومشاركة الكبار عالمهم، وشعوره بأنه صار قادرا على تحمل المسؤولية والرغبة في الوصول إلى درجة من التوافق الاجتماعي ،يجب على الكبار مساعدته على بلوغ هذا التوافق لضرورة ذلك في النمو السوي.

- حاجات تعليمية: إن الرغبة في التعلم والمعرفة هي نزعة فطرية، تنمو مع الفرد ويحتاج إلى إشباعها ، تزداد وتيرة الرغبة في التعلم ومعرفة كل ما يحيط بنا عند المراهق، أكثر من غيره لذا كان لزاما أن تستجيب المناهج والطاقم التربوي والإداري والأسرة، لهذه الرغبة ومساعدة الطالب على تلبية هذه الحاجة بشكل يحقق الرضا النفسي للمراهق.

حاجات اقتصادية: إن المراهق يزداد اهتمامه في هذه المرحلة بتكوين شخصيته واستقلاليتها عن الآخرين، فهو في حاجة للمسكن النظيف واللائق وخاصة النزوع إلى الخصوصية من خلال الرغبة في غرفة خاصة به وأدوات ضرورية وخاصة جدا، والملبس المناسب وبعض الإمكانيات المادية التي تتناسب مع رغباته، فلابد من الاستجابة ولو في الحدود الدنيا لهذه الاحتياجات حتى لا يصاب بالإحباط ويعيق ذلك نموه على كافة المستويات.

حاجات ترفيهية: إن مرحلة المراهقة هي مرحلة التدفق الغريزي الجامح، والتغير السريع في معدلات النمو، والرغبة في النشاط والحيوية، وممارسة العديد من الهويات لدى الفتي والفتاة لذاك من الضروري توفير الأنشطة الضرورية والوسائل المساعدة على ذلك لضمان نمو جيد.

2- أهم مشكلات المراهقة في الوسط التربوي.(المرحلة المتوسطة أنموذجا).

إن الطفل في الوسط المدرسي يتعرض إلى جملة من المشكلات ،التربوية والنفسية والتي قد تكون عائقا في تحصيله الدراسي، من هذا المنطلق يسعى علم النفس جاهدا من خلال تتبع هذه المشكلات والكشف المبكر عنها وتحديد أسبابها ووصف العلاج الضروري لها، حتى يتسنى لأبنائنا تحصيلا دراسيا ناجحا ونموا نفسيا جيدا يمكنهم أن يكونوا أفرادا فاعلين في مجتمعهم قادرين على تحمل مسؤولياتهم تجاه وطنهم وأمتهم.

إن المرحلة المتوسطة والتي تعتبر حلقة وصل هامة في حياة التلميذ بين مرحلة الطفولة بما تزخر به من مُثل وقيم وتصورات جميلة عن الواقع الاجتماعي، ومرحلة البلوغ والنضج العقلي للفرد وإدراكه لواقعه الاجتماعي، بكل تناقضاته مضافا إليه النمو الفسيولوجي والتغيرات المرافقة له خاصة الجنسية منها، ففي هذه المرحلة والتي تعتبر مرحلة للتدفق الغريزي الجامح للذات التي ترفض كل عوامل المنع والكبح سواء كانت عوامل داخلية أم خارجية، مما يولد لدى هذه الفئة من الناشئة ردود أفعال متفاوتة الأثر حسب المؤثرات التي يتعرض لها المراهق.

والتلميذ في هذه المرحلة هو في أمس الحاجة لتقديم يد المساعدة لتجاوز تداعيات هذه المرحلة والوصول إلى حالة التوازن النفسي والاجتماعي وذلك بفهم الحالة التي يكون عليها فهما صحيحا، رغبة في تقديم المساعدة اللازمة في الوقت المناسب أكثر من حاجته للردع، ومحاولة تغيير سلوكياته بما يتماشى مع ما يراه الراشدون بوسائل عنيفة ماديا أو معنويا، يقع على الأستاذ جانب كبير من هذه العملية بتدخلاته، لضبط ردود الأفعال وتوجيه هذه الطاقة الكامنة في مصارف ايجابية بالتصدي لحالة التمرد بوعي أكبر للمتغيرات الحاصلة من جيل لآخر، دون إغفال الجوانب الأخرى كالأسرة والمحيط الاجتماعي ذات الأثر البالغ في تكوين الشاب وتوجيهه الوجهة الصحيحة بعيدا عن مثالب العنف وأتونه، ومن أهم المشكلات التي تواجه المربي في هذه المرحلة والتي قد يقف الأستاذ عاجزا أمامها في هذه السن الحرجة والمرتبطة بمرحلة المراهقة، حيث يكون التلميذ شديد الحساسية لكل أشكال التدخل من طرف أساتذته وفي نفس الوقت يعاني من تأخرا دراسيا نابعا من مراحل سابقة، كما يمكن أن يواجه الأساتذة في هذه المرحلة حالة من الجنوح نحو العنف وردود الأفعال الحادة من طرف التلاميذ، كما يمكن أن يكون النفور الدراسي ومنه التسرب من المدرسة من أهم المعضلات التي تواجه الشباب

في هذه المراحل" إن المراهقة مرحلة عنيفة في الناحية الانفعالية حيث تجتاح نفس المراهق ثورات، تمتاز بالعنف والاندفاع كما تساوره من وقت لآخر أحاسيس بالضيق والتبرم والزهد"[6].

،يمكننا أن نتطرق في هذه المداخلة لنماذج من المشكلات التي تؤرق القائمين على الفعل التربوي، خاصة في هذه المرحلة والتي اخترناها لخصوصيتها كما سبق التطرق لذلك.

2-1- التأخر الدراسي:

* تعريف التأخر الدراسي: المتأخرون دراسيا هم "التلاميذ الذين يواجهون صعوبات أو مشاكل في عملية التعلم، وأنهم لا يجارون أترابهم (نفس العمر) في الصف، في مجال واحد أو عدة مجالات دراسية لفترة زمنية قد تطول أو تقصر"[7].

والتأخر الدراسي نوعان: تأخر دراسي عام يرتبط بالغباء حيث تتراوح نسبة الذكاء من (70-85).

- تأخر دراسي خاص في مادة بعينها كالحساب مثلا ويرتبط بنفس القدرة.
- تأخر دراسي طائفي ،أي في مجموعة مواد ترتبط بمجال دراسي معين(أدبي/علمي).

بينما أشار "علاء الدين كفافي" وآخرون إلى نوعان آخران هما:[8]

- تخلف دراسي دائم يقل فيه مستوى التحصيل الدراسي للتلميذ على مستوى قدراته لفترة زمنية طويلة.
- تخلف دراسي موقفي يرتبط بموقف معين يؤدي لهذا التأخر نتيجة لخبرات سيئة لدى التلميذ.

إن التأخر الدراسي يشكل معضلة حقيقية في مرحلة المراهقة، حيث يكون التلميذ قد مر عليه أكثر من 06 سنوات في مقاعد الدراسية، تلقى خلالها جملة من المعارف والمهارات والتي يكون في الغالب لم يحقق المستوى المطلوب فيها، مضافا لها الحالة النفسية التي يكون عليها التلميذ في هذه المرحلة مقارنة بأترابه وهنا يجد الأستاذ أو المربي نفسه أمام مشكلة يستعصى عليه إيجاد الحل لها دون إشراك أطراف أخرى تكون عونا له.

2-2- التسرب المدرسي:

تعتبر ظاهرة التسرب المدرسي من أصعب المشكلات التي تعاني منها دول العالم بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة، لما لها من آثار سلبية على تقدم المجتمع وتنميته، فهي تساهم بشكل كبير تأخر المجتمع عن اللحاق بركب الأمم المتقدمة، فدراسة التسرب والوقوف على عوامله وكيفية الحد منه يعتبر دراسة تربوية جادة وضرورية، وتعتبر فترة المراهقة أهم مرحلة يكون فيها الطالب مهيأ لمغادرة مقاعد الدراسة مبكرا، يبدأ ذلك بحالة من النفور الدراسي تحت تأثير عوامل فيزيونفسية يتعرض لها المراهق، تساهم في تنامي الاتجاه نحو الهروب من الدراسة.

* تعريف التسرب المدرسي:

هو الانقطاع عن المدرسة قبل إتمامها لأي سبب (باستثناء الوفاة) وعدم الالتحاق بأي مدرسة أخرى.

فالانقطاع عن مواصلة التحصيل الدراسي، يعتبر معضلة تؤرق القائمين على الشأن التربوي والأولياء والمجتمع برمته، فالعزوف عن الدراسة قد يعود لأسباب ذاتية أو موضوعية، هذا ما يدعو للبحث في هذه الأسباب وتحديدها رغبة في القضاء على هذه الظاهرة أو التقليل منها لحدودها الدنيا.

2-3- العنف:

تعريف العنف: كل مبادرة تتدخل بصورة في حرية الآخر وتحاول أن تحرمه حرية التفكير والاختيار.

بينما يعرفه آخر: العنف لجوء شخص أو جماعة لهم قوتهم ،إلى وسائط ضغط بقصد إرغام الآخرين ماديا على اتخاذ مواقف لا يريدونها أو القيام بأعمال ما كانوا ليقوموا بها لولا وسائط الضغط هذه.

وتعرفه سناء محمد سليمان" العنف هو ضغط مادي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي، ينزله الإنسان بالإنسان، وهم يلحق الأذى بالأفراد أو الممتلكات وهو لجوء للقوة بقصد إرغام الآخرين على اتخاذ مواقف لا يريدونها"[9]

*أنواع العنف:

- العنف الجسدي.
- العنف النفسي.
- الإهمال(مقصود، غير مقصود).
- العنف الرمزي.
- العنف الجنسي(الاستغلال الجنسي).

2-4- المخدرات في الوسط المدرسي:

تشكل المخدرات آفة خطيرة، لا تهدد الوسط المدرسي فحسب بل المجتمع برمته من خلال رهن مستقبل أبنائنا، والزج بهم في شباك هذه الآفة التي لا ترحم، فمهمة المربي شاقة وعسيرة خاصة في ظل العديد من المتغيرات الاجتماعية والثقافية، والمد الإعلامي المفتوح وكذا ضعف التواصل مع الأسرة.

إن مرحلة المراهقة مرحلة بالغة الحساسية يكون فيها الطالب متمردا على كل من حوله، لا يضع معيارا للأشياء إلا من خلال ذاته وتحقيق رغباته، التي يرى أن من حقه أن يلبها، وفي هذه الحالة نجد أنفسنا كمربين أمام كائن

يمر بتغيرات سريعة على كافة المستويات، وقد يساهم الضغط الأسري والمعاملة السيئة في المدرسة إلى انحراف الطالب عن جادة الصواب لأنه لم يوجه الوجهة الصحيحة ولم يجد من يأخذ بيديه في هذه المرحلة الحساسة، لذا بات لزاما على المربي المشرف على هذه المرحلة أن يعي جيدا خصوصياتها، ويتقن كيفية التعامل مع المراهق بشكل يجعله يكسب وده وثقته من هنا يصبح قادرا على توجيهه والاستفادة من طاقاته الكامنة وصرفها في الوجهة الصحيحة.

3- دور المدرسة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية

إن موضوع التنشئة الاجتماعية يكتسي أهمية بالغة لدى المهتمين بالتربية، نظرا لما تلعبه أساليب وأنماط التنشئة الاجتماعية للأطفال باعتبارهم مشاريع رجال المستقبل من أهمية بالغة الحساسية، فتكوين الشخصية الإنسانية من خلال عملية التحول من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ،من خلال ضبط وترشيد سلوكياته ومواجهة مختلف المواقف في الحياة الاجتماعية.[10]

فعملية التنشئة الاجتماعية لها خصائص تميزها :

- عملية تعلم اجتماعي: فمن خلالها يكتسب الفرد مركزه الاجتماعي ويتعلم أدواره ويكتسب الاتجاهات النفسية والأنماط السلوكية التي يقرها المجتمع .
- عملية معقدة : فهي عملية متداخلة بين عدة مؤثرات ومستويات مختلفة ومتباينة من مجتمع لآخر، كما أنها تحدث في شرائح معينة من المجتمع الواحد بصورة مختلفة وذلك بسبب اختلاف الثقافات الفرعية.[11]
- عملية نمو وتحول فسيولوجي وسوسيولوجي: حيث يتحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي .
- الاستمرارية والدينامية: تتميز عملية التنشئة الاجتماعية بالاستمرارية فلا يمكن أن تتوقف في مرحلة عمرية معينة لتواصل في مرحلة أخرى، فالاستمرارية والديمومة ميزة خاصة بها ،مضافا لذلك الدينامية بحيث نسجل التغير والتفاعل بين أفراد المجتمع ذهابا وإيابا سمة ظاهرة.

إن التنشئة الاجتماعية كعملية ترتبط ارتباطا وثيقا بمؤسسات المجتمع المنوط بها التكفل بأعباء هذه العملية، فالمدرسة والأسرة مؤسستين هامتين أدوارهما متداخلة ولا يمكن الفصل بينهما سوى نظريا، فلا يمكن أن نتصور تنشئة اجتماعية فعالة للأسرة في غياب المدرسة ،كما لا يمكننا أن نتصور نجاح المدرسة في القيام بدورها في التنشئة الاجتماعية دون التنسيق الوثيق مع الأسرة، خاصة في ظل التطور الحاصل على كافة الأصعدة.

4- العلاقة بين الأسرة والمدرسة الجزائرية في ظل تطور وسائل الإعلام والاتصال

يصف شيخ التربويين حامد عمار واقعنا الثقافي في ظل تداعيات العولمة الثقافية والتحديات الكبرى بقوله "رغم ما تشهده الساحة العربية في فترات قليلة وفي أحداث نادرة من الإشرافات المبدعة والتموجات الخصبة ،إلا أن

زماننا الثقافي يظل في معظمه راكد المعرفة ،صوته أعلى من فعله ،وجزره أقوى من مده، قبيلته أقوى من مواطنيه، قوميته رهينة قطرية وعروبته أسيرة تبعية ولطالما كان لديه بناء الحجر أولى من بناء البشر"[12].

فيا ترى هل حان الوقت ليكون بناء البشر مقدما عندنا على بناء الحجر؟

فالإنسان رأسمال بشري يمثل فيه الشباب زاد الأمة ومخزونها الاستراتيجي، الذي بفضله تواجه تحديات الزمن وترسم معالم وآفاق مستقبلها، وإذا لم نتعهد هذا الغرس بالعناية الكاملة عبر مراحل نموه المختلفة، من المرحلة الجنينية إلى غاية أن يصبح راشدا قادرا على تحمل مسؤوليته في مجتمعه، متكيفا مع قيمه و عاداته وتقاليده، يتميز بصحة نفسية جيدة من خلال تخطيه للمراحل الهشة في حياته، والاستفادة مما يقدم له من عناية تركز على الجوانب النفسية والاجتماعية والتربوية والقيمية، دون إغفال جانب عن الآخر رغبة في تكوين الشخصية الإنسانية بأبعادها المختلفة، وهنا نسجل الدور الإرتباطي بين المدرسة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، فالأسرة هي الحاضنة الأساسية للطفل خاصة في مراحل حياته الأولى، حيث يتعلم الطفل في كنفها جملة من القيم الموجهة لسلوكياته مستقبلا، حيث يستمد من الأسرة قواعد وأساليب المعاملات وكيفية ضبط ردود الأفعال في المواقف المختلفة ،ويتشبع بالقيم والعادات والتقاليد المجتمعية، لتكون موجها فعالا لحياته، من خلال اكسابه اتجاها يساير منظومة المجتمع القيمية، فالقيم السوسيوثقافية للمجتمع مرتبطة ارتباطا وثيقا بمفهوم الهوية بكل أبعادها المتعددة، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات تُبنى قيمه السوسيوثقافية، انطلاقا من الأبعاد المحددة لهويته المتمثلة في العناصر الثلاثة الإسلام والعربية والأمازيغية، والتي أبرزها القانون التوجيهي للتربية، حيث جاء في مادته الثانية:تتمثل رسالة المدرسة الجزائرية في تكوين مواطن مزود بمعالم وطنية أكيدة، شديد التعلق بقيم الشعب الجزائري، قادر على فهم العالم من حوله، والتكيف معه والتأثير فيه ومتفتح على الحضارة العالمية.

إن التطور المتسارع في وسائل الإعلام والاتصال المسجل وخاصة مع نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحالي، والذي جعل من سمائنا فضاء مفتوح على شتى القنوات بما تحمله من أفكار وثقافات قد تكون في كثير منها مختلفة عن ثقافتنا المجتمعية وما نصبو إليه من تكوين للفرد، بات يهدد النسيج الاجتماعي المتجانس فقد نستفيق يوما على تركيبة بشرية لا تمت بصلة لواقعنا الثقافي والاجتماعي، فتخلي الأسرة والمدرسة عن دورهما لبدائل أخرى قد لا ترحم يشكل خطرا داهما يدعو لتضافر الجهود وتنسيق العمل من أجل مدرسة متكاملة مع الأسرة في أداء الرسالة النبيلة في تكوين النشء.

إن وسائل الإعلام والاتصال وما تشهده من تطور سريع في نوعيتها ومدى انتشارها ورغم آثارها الايجابية والتي لا يمكن أن ننكرها من خلال المساهمة في تطوير مفهوم الذات لدى الأفراد، وتسهيل سبل الاتصال

والتواصل مع الآخر مما يضفي على الشخصية الفردية بعدها الإنساني ومساهمة ذلك في تطوير العلاقات بين الشعوب والأمم، ومع ظهور التكنولوجيا الجديدة التي بدأت تنتشر منذ النصف الثاني من القرن العشرين ولا تزال بمراحل تطورها التي لم تبلغ الذروة ميزت الإعلام والاتصال بمجموعة سمات، لابد أن تجد صداها في الدور الوظيفي للإعلام والاتصال في العصر الرقمي.[13]

لقد أصبحت لوسائل الاتصال والإعلام في حياتنا دورا بارزا لا يمكن لأي كان تجاهله أو تصور الحياة من دون توفر هذه الإمكانات في الاتصال والتواصل، غير أننا لا يمكن أن نتجاهل الآثار السلبية لهذه العملية على الأسرة حيث أن دفء العلاقات الأسرية تراجع بشكل ملحوظ في ظل هذا التطور، حيث صار استعمال الهاتف النقال وسيلة مفضلة للاتصال بين أفراد الأسرة، أما "السكايب" "والفيس بوك" "والتويتر" و"الفايبر" والواتساب" و"الانستقرام" فهي وسائل اتصالية لها روادها أيضا سواء داخل الأسرة أو بين جموع الأفراد، لقد صار الإدمان على هذه الوسائل الاتصالية ميزة من ميزات هذا العصر الرقمي، حيث يقضي الأفراد وخاصة الشباب منهم وقتا ليس هينا أمام شاشات الانترنت أو التلفزيون أو بواسطة الجيل الأخير من الهواتف النقالة، حيث تحول الأمر إلى إدمان حقيقي يقر به كل مستعمل لهذه الوسائل، ويستشعر من خلال ذلك عدم قدرته على بناء علاقة تواصلية جيدة في غياب هذا الفضاء المفتوح ،حيث لا قيود أما الجميع للتعبير عن الذات أو تحقيق ما يرغبون بمشاهدته أو الاستماع إليه، والعملية كما أسلفنا لا تقتصر على نقطة بذاتها فعملية تطوير الوسائل التكنولوجية في تنامي متزايد من يوم لآخر، فالجيل الجديد من الهواتف النقالة وأثره على العلاقة التواصلية بين أفراد المجتمع، فالهواتف الذكية من الأجيال المتلاحقة سيكون لها بالغ الأثر على الأجيال البشرية مستقبلا.

إن الأسرة لا يمكنها أن تؤدي وظيفتها التربوية في معزل عن مؤسسات المجتمع الأخرى، حيث نشهد في العقود الأخيرة ومع التطور الحاصل في وسائل الإعلام والاتصال أن الأسرة تؤدي وظيفتها التربوية في معزل عن مؤسسات المجتمع الأخرى، بات هناك قطيعة بين الأسرة ومؤسسات المجتمع حيث كل يعمل بشكل منفرد يكاد يكون التنسيق الغائب الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية.

إن المراهقين هم الفئة الهشة والأكثر تأثرا بالوسائل التكنولوجية الحديثة لعدة اعتبارات لعل أهمها ما يرتبط بشخصية المراهق ورغبته الجامحة في التعرف على كل ما هو جديد في الحياة و الاجتهاد في اكتسابه، وقابلية تكوينه النفسي والفسيولوجي لذلك، إن النمو الفسيولوجي لدى المراهق وتحسسه للتغير الجنسي الذي يرافق هذه المرحلة ورغبته في اكتشاف كل ما يتعلق بها، يجعله يبحث عن بدائل آمنة للإطلاع بعيدا عن أعين الأسرة أو المحيطين به، وهذا ما يجعل من فضاء الانترنت المكان الملائم لجل المراهقين لممارسة رغبتهم في التحرر من قيود المجتمع وإفلاتهم من عوامل الضبط الاجتماعي، لعل الأجيال السابقة كانت لها بدائل وإن كانت تبدو تقليدية ومحدودة الأثر، لكن ما يحدث الآن مختلف تماما من حيث كم المعلومات ونوعيتها، مما يخلف آثارا سلبية على

بناء شخصية المراهق وتوازنه النفسي والاجتماعي، ناهيك عن الأفلام التي تروج للعنف وسبل استخدامه وتحث الشباب وبطرق شتى لتحقيق ذواتهم من خلال ما يعرض عليهم من أفلام لا يمكننا مراقبتها بشكل فعال.

ومن هنا يتجلى الارتباط الوثيق بين المدرسة والمجتمع والتكامل في أداء الرسالة التربوية والمجتمعية، فلم يعد ينظر إلى المدرسة كونها صاحبة رسالة تربوية تعليمية فقط، بل صار البعد المجتمعي للمدرسة يمثل روح الفعل التربوي، فالمدرسة التي لا تربط أبنائها بماضيهم وحاضرهم لترسم لهم المستقبل الواعد في ظل تداعيات العولمة وما جلبته من تغير في وسائل الاتصال والإعلام والتأثير، تعتبر مدرسة فاشلة في أداء رسالتها.

5- مقترح تصور لبناء علاقة تواصلية بين الأسرة والمدرسة في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال

إن الأسرة في ظل تطور وسائل الاتصال والإعلام ما زالت في مرحلة الذهول وعدم القدرة على استيعاب الموقف حيث نجدها في مجتمعاتنا تكاد تكون في حالة انقياد وتبعية تامة لترقب ما هو جديد دون البحث الجاد في آثاره النفسية وحتى الجسمية على حياتنا، ونقصد بذلك البحث العلمي الرصين الذي ينطلق من أرضية صلبة لمشكلات المراهقين في ظل هذا التطور للبحث عن مقاربات تكون فعالة، ولا نكتفي فقد بالانتقاد لهذا التطور الحاصل دون أن نجتهد في وضع الآليات الكفيلة بالاستفادة من ايجابيات العملية واجتناب السلبيات أو التقليل من آثارها، إن لهذا التطور في الوسائل التكنولوجية أثرا بالغا في تكوين شخصية الفرد المراهق، وإعداده ليكون رجل المستقبل الذي يتميز بالشخصية المتزنة نفسيا وعاطفيا واجتماعيا، بحيث يكون عضوا فعالا في مجتمعه، ولغير هذه الوسائل الحديثة إذا لم يتم التنبه لآثارها السلبية ومحاصرتها في المهد، والتقليل من آثارها السلبية على الفرد والمجتمع، ولن يكون ذلك ممكنا ما لم تتعاون كل مؤسسات المجتمع في وضع تصور شامل للمشكلة وبناء نموذج لحل فعال وذلك بالعمل على مقترح يوظف ايجابيات العملية ويستفيد منها ويتفادى السلبيات ويقلل من آثارها.

كما سبق الإشارة إليه أن هذا المقترح لن يكون فعالا ما لم يتم إقامة علاقة اتصال وتواصل جيدة بين مؤسسات المجتمع المختلفة، والتي تتكفل بالتنشئة الاجتماعية للأفراد وذات علاقة ارتباطيه مع الأسرة كالمدرسة والمسجد ودور الثقافة والشباب، وجمعيات المجتمع المدني ،غير أنه في هذه الورقة سنركز على العلاقة بين الأسرة والمدرسة كمؤسستين فاعلتين في حياة المراهق وأثر العلاقة الانفصالية بينهما على تكوين شخصيته وظهور المشكلات المتزامنة مع هذه المرحلة العمرية، والبحث في هذه الحلقة المفقودة والتي من الضروري أن تعود إلى مكانها من أجل توفير جو آمن لنمو أطفالنا مستقبلا.

شهدت العلاقة بين المدرسة الأسرة في العقدين الأخيرين تراجعا ملحوظا، حيث انكفأ كل منهما على نفسه رغم النصوص التنظيمية لوزارة التربية والتي تضع علاقة المدرسة بالأسرة في دائرة الاهتمام، حيث اعتبر القانون

التوجيهي للتربية (رقم 08-04 المؤرخ في 23 جانفي 2008) الأسرة شريكا اجتماعيا واضعا بذلك جمعية أولياء التلاميذ في مركز يمكنها من لعب أدوار أساسية في الحياة المدرسية، من خلال الاجتماعات الدورية التي يفترض أن تكون بالتعاون مع الإدارة المدرسية والتربوية من جهة، وأولياء الأمور من جهة ثانية لدراسة ظروف تمدرس أبنائهم والمساهمة في تحسين هذه الظروف من خلال إقامة علاقة تواصلية مع أطراف العملية التربوية إدارة وأساتذة، كما تم وضع دفاتر برسم دفاتر المراسلة والتي يفترض أن تكون أداة فعالة في ربط الوسط المدرسي بالأسرة من خلال الإطلاع على مسار التلميذ سواء من الناحية التعليمية التربوية أو من الناحية السلوكية، غير إننا نسجل غيابا جليا في تجليات هذه العلاقة، حيث نسجل نفورا يكاد يكون عاما من الأولياء تجاه تلبيتهم لدعوات الحضور للاجتماعات الدورية التي تعقد في المؤسسات التربوية، رغم التوضيح الذي يقدمه مدراء المؤسسات للأولياء حول أهمية هذا اللقاء في مسار أبنائهم ورغم ذلك لا نسجل إقبالا من الأولياء على هذه الاجتماعات، فحضور الأولياء لا يكون إلا مع بداية السنة لطلب إعادة أبنائهم المطرودين، أو في نهاية السنة للإطلاع على النتائج وفي غالب الأحيان تحميل المدرسة إخفاقات أبنائهم في الامتحانات الرسمية، لذلك فنحن أما معضلة حقيقية تجاه هذا النفور من علاقة تواصلية ناجعة فعالة، الذي يدفعنا إلى طرح السؤال التالي: ما هي الحلقة المفقودة في هذه العلاقة ؟؟؟ والتي تؤثر على أبنائنا وخاصة من هم في سن المراهقة كفئة هشة ومستهدفة من طرف شركات الإعلانات المختلفة لكل السلع والبضائع ذات الطابع الاستهلاكي، مما يؤثر على سلوكيات المراهق ويجعله ضمن دائرة التلقي المتواتر دون ضوابط تحد من هذه التأثيرات والتي لا تستطيع الأسرة ولا المدرسة بمفردها التصدي لهذه الهجمة إذا لم نبادر إلى إعادة الحلقة المفقودة لهذه العلاقة ،والتي نرى أن لها عدة أسباب متعددة الجوانب في جانب منها يرجع للمدرسة والنظام التربوي وفي جانب آخر للأسرة والتغير الاجتماعي المسجل، وطغيان الجانب المادي في التعاملات مما أثر على دور المدرسة في المحيط الاجتماعي، ولن نستطيع تجاوز مشكلات المراهقة في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال والتي تزداد تعقيدا إلا بوضع خطة متكاملة تساعد في إعادة الحلقة المفقودة لهذه العلاقة وتفعيلها.

إن العلاقة بين الأسرة والمدرسة لن تؤدي أهدافها المحددة بكل نجاح ما لم تتضافر كل الجهود في علاقة مستمرة قابلة للتجدد يمكننا أن نلخصها في ما يلي:

- دور الإعلام: يعتبر الإعلام ضلعا مهما وطرفا أساسيا في إقامة العلاقة التواصلية بين الأسرة والمدرسة، حيث نسجل غياب ملحوظ إلا فيما ندر من عمل مناسباتي حول الدخول الاجتماعي والمحطات الكبرى كالامتحانات الرسمية، فلا يخفى على أحد الدور المركزي للإعلام المرئي خاصة في التأثير على جموع أفراد المجتمع، إن إعداد حصص توجيهية لفئات المجتمع الواسعة حول أهمية المدرسة والتعليم في حياة الشعوب والأمم، كما يمكننا الاستعانة بالوسائل الإعلامية في مواجهة المد الكبير لما يسببه من شرخ في

تربية الأبناء برفضهم قيم المجتمع من خلال ما يتعرضون له من غزو للمنطقة الرمادية في مجتمع لا يرحم.

- جمعيات أولياء التلاميذ: ضرورة إشراكها في تفاعلات المحيط المدرسي من خلال، إعادة النظر في القوانين التنظيمية للجمعيات ذات الطابع التربوي من خلال وضع آليات جديدة لعمل هذه الجمعيات مستقبلا، إقامة دورات تدريبية لرؤساء جمعيات أولياء التلاميذ تزودهم بمعارف في مجال علم النفس والاجتماع، فلا يبقى رؤساء جمعيات أولياء التلاميذ بعيدين عن الجانب التربوي بصورته العلمية، فتزويدهم بهذه المعارف يمكنهم من القيام بدورهم بشكل فعال ويمكنهم من تنشيط العلاقة بين المدرسة والمجتمع.
- التكفل النفسي والاجتماعي بالتلاميذ: إن غياب مختصين في هذا المجال في الوسط التربوي، يعرقل قيام علاقة تواصلية جيدة للمدرسة مع الأسرة بشكل خاص والمجتمع ،فالأخصائي الاجتماعي في الوسط التربوي بات من ضروريات العمل التربوي الناجع، فلا يمكن تصور إسناد تتبع المشكلات النفسية والاجتماعية والتربوية للتلاميذ في غياب مختصين في هذا المجال، فالأستاذ يقتصر دوره بالدرجة الأولى على تزويد الطلاب بمعارف ومهارات تمكنهم من مجابهة أوضاع معينة، غير أنه يبقى عاجزا في كثير من الحالات على التدخل نظرا لعدة أسباب لعل عدم التخصص وضيق الوقت من أهم المعوقات لتكفل الأستاذ بمتابعة المشكلات المصاحبة لمرحلة المراهقة، والتي تتسبب في كثير من حالات النفور والتسرب الدراسي والعنف في المدارس، يعمل المختص الاجتماعي والنفسي على مستوى الجماعة المدرسية من خلال العلاقات التي ينسجها مع الطاقم التربوي والإداري والتلاميذ في المؤسسة التربوية وجمعية أولياء التلاميذ ومؤسسات المجتمع المدني الأخرى، وبذله جهدا لتفعيل العلاقة بين الوسط المدرسي وهذه المؤسسات ،وإشراكهم في وضع الخطط الكفيلة بالرفع من التحصيل العلمي لأبنائهم وحثهم على التفاعل الايجابي مع المدرسة ،كما يعمل على تنشيط الجو الثقافي بالمؤسسة من خلال تنظيم التظاهرات الثقافية والترفيهية والعلمية، من أجل تحقيق اندماج حقيقي وفعال لكل فئات المجتمع في بوتقة واحدة تحت مظلة القيم والمبادئ والاتجاهات المرتبطة بالمجتمع وتعزيز روابط الانتماء بين الطلاب لوطنهم وأمتهم ،ومساعدة الطاقم التربوي على تجسيد هذه الأهداف عمليا بالإشراف على إنجاز النشاطات المختلفة للطلاب وملاحظتها على أرض الميدان مع التدخل المناسب من طرف الأخصائي الاجتماعي والنفسي، لتصحيح وتصويب ما يراه وفق قواعد منهجية ترتبط بأحدث ما توصل إليه الباحثون في مجال علمي النفس والاجتماع.
- ربط المدرسة بالمحيط الاجتماعي من خلال إشراك الجمعيات المحلية على الانفتاح على الوسط التربوي وإن كنا لا ننفي دور بعض الجمعيات وخاصة البيئية منها، لكن ما نصبو إليه هو تفعيل هذه الدور بشكل متميز حيث يكون تقييم أداء كل جمعية من خلال ما تنجزه من علاقات تواصلية مع المحيط التربوي.
- تعتبر مؤسسات الدولة ذات العلاقة بالمحيط الاجتماعي من خلال ما تقدمه من أعمال لخدمة المجتمع، فالدرك الوطني والأمن الوطني والحماية المدنية، من خلال تجربتهم الكبيرة في التعامل مع القضايا

المرتبطة بالشباب في مرحلة المراهقة ومشكلاتها يمكن أن يكونوا أطرافا فعالة في ربط العلاقة التواصلية بين المدرسة والمجتمع من خلال إشراكهم في تقديم نماذج من أعمالهم تتضمن توجيهات ونصائح للمراهقين تكون ذات فعالية كبيرة وتعزز من انفتاح المدرسة على المجتمع.

خلاصة:

إن مشكلات المراهقة في الوسط التربوي تؤرق العاملين في هذا المجال، والمختصين في شؤون التربية والتعليم، ولعل ضعف العلاقة التواصلية بين المدرسة والأسرة المسجل في العقدين الأخيرين من القرن الماضي والحالي، وخاصة في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وما يجلبه هذا التطور من ضعف لقدرة الأولياء والمربين على ضبط سلوكيات التلاميذ، وهم يتعرضون يوميا لكم هائل من البث بكل صوره وأشكاله وهم الفئة الهشة في المجتمع والمستهدفة من قبل وكلاء الإعلانات في جميع أنحاء العالم، نظرا لما تتميز به هذه المرحلة من تطور فسيولوجي ونفسي واجتماعي، ورغبة جامحة في التغيير ورفض كل ما هو تقليدي، وإن كان هذا أمرا طبيعيا غير أنه في مرحلة ما يصبح خطرا على الموروث السوسيوثقافي لأي أمة ترغب في المحافظة على كيانها من الانحلال، ناهيك عن مشكلات أخرى تظهر في الوسط التربوي كالنفور الدراسي والتسرب المدرسي، والعنف في المدارس وتبعاته على الأسرة والمجتمع، والتأخر الدراسي ...الخ، كل هذه المشكلات وغيرها نسجل وبكل أسف تفاقمها في السنوات الأخيرة، ربما انفراط عقد العلاقة الفعالة بين الأسرة والمدرسة ساهم بشكل ملحوظ في هذه المعضلة، والتي لن تعرف طريقها إلى الحل بدون إتباع إستراتيجية محكمة تشارك فيها جميع الأطراف تهدف لإعادة الاعتبار لهذه العلاقة التواصلية، فالمدرسة والإعلام والمجتمع المدني وقبلهم الباحثين في علم النفس والاجتماع والبيداغوجيا أمام مسؤولية تاريخية للعمل في إطار واحد ومنسق لتوفير الغطاء الآمن لهذه الفئة من التلاميذ نظرا خصوصية المرحلة وأهميتها.

المراجع:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت(لبنان)،1968،المجلد10،ص130.

[2] ابن منظور ،المرجع السابق،ص129.

[3] رغدة شريم، سيكولوجية المراهقة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)،2009،ط1،ص21.

[4] عبد الرحمن عيسوي، علم نفس النمو، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1995،ص25.

[5] Le Hall.H : psychologie des adolescents ,presse universitaire, Dunad, paris,1998,p13.

[6]مصطفى غالب، في سبيل موسوعة نفسية، مكتبة الهلال، بيروت (لبنان)،1981،ط3،ص29.

[7]يوسف ذياب عواد، سيكولوجية التأخر الدراسي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان(الأردن)،2006،ط1،ص21.

[8]علاء كفافي وآخرون، التأخر الدراسي مشكلة تربوية تبحث عن حل، الحلقة الأولى، مجلة التربية، عدد 93،السنة20،اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم،1990،ص ص116-124.

[9]سناء محمد سليمان، مشكلة العنف والعدوان لدى الأطفال والشباب، عالم الكتب،القاهرة،2008،ط1،ص25.

[10] عمر أحمد همشري، التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان،2003،ص 23.

[11] محمد شحات، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، جدة، دون دار نشر،1995،ص228.

[12]حامد عمار ،دراسات في التربية والثقافة، مكتبة الدار العربية للكتاب،القاهرة،2000.ص128.

[13]مكاوي حسن عماد، السيد ليلى حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار اللبنانية المصرية،ط3،القاهرة ،2002،ص106.